

المدرسة الابتدائية

وتعليم اللغة الأجنبية

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

تعليم اللغة الأجنبية في مدارسنا الابتدائية مشكلة من مشاكل التربية والتعليم التي برزت اليوم أمام وزارة المعارف فألفت لدراستها لجنة برئاسة حضرة صاحب العزة الوكيل الساعد . وقد رفعت هذه اللجنة تقريرها عنها في الشهر الماضي ، ولا زال هذا التقرير بين يدي معالي الوزير لبحثه ودراسته قبل البت في أمره . وبالرغم من أن هذا الموضوع كان من بين المشاكل الكثيرة التي عالجتها في مؤلفي الجديد « التعليم والمتعلمون في مصر » فقد رأيت أن أفرد له بحثاً خاصاً يذاع على صفحات الرسالة التراء لأنه أصبح مشكلة الساعة ؛ ولا يصح أن يقطع فيه رأي إلا بعد درسه دراسة مستفيضة ، فجدد بكل ذي رأي أن يدل في برأيه ، وجدد برجال التعليم جميعاً أن يبحثوه وحداناً وأن يحصوه ذرافات وجماعات حتى يتبين أولو الأمر أوجه الخير والشر فيه ، ويتعرفوا أوجه المصلحة العامة في جميع نواحيه .

ولا يسعنا أن ندلل على أهميته وأهمية غيره من مشاكل التربية والتعليم عندنا إلا بتلك الكلمة الخالدة التي قالها المنفور له جلالة الملك فؤاد الأول طيب الله ثراه ، إذ قال : « إن أم السائل في مصر مسألة التربية والتعليم . فلو أن كل مصري وضع في تشيدها لبنة لأقننا للوطن صرحاً يبقى ما بقي الزمان » . ولا غرو في ذلك لأن مسائل التربية والتعليم لا تتعلق بأفراد أو بطوائف معينة فحسب ، ولكنها تتعلق بكل منزل وكل أسرة ، وتعلق بأبناء هذا الوطن جميعه بنين وبنات ، فتيان وفتيات ؛ ففيها جماع مشاكل الأمة أو هي تشمل مسائل الأمة جماء

ولقد أصبح لزاماً علينا بعد أن أخذنا الأمر كله بيدنا ألا نتعصب لأنفسنا ولا أن نتحيز لقديمنا بل يجب علينا أن نفتح عيوننا لكل ما يجري عندنا وعند غيرنا وأن نتعرف سريعاً شذوذنا وأخطائنا وأن نعمل بحزم وهمة ونشاط على التخلص مما تنثر فيه معاهدنا من شذوذ وأخطاء . لعلها هي السبب الأساسي في تمر شبابنا وتنكبهم للطريق السوي وأنحطاط مستوهم الخلق والعلو عن مستوى غيرهم ممن يتعلمون بين ظهرائنا تلمياً أجنياً

يصحبه نجاح في الحياة مضمون وحظ موفور . فلقد جاء في محاضرة الأستاذ الفطريق رئيس مكتب تخديم الشبان بوزارة المسالية التي ألقاها قريباً بمرج دار العلوم أنه لا ينجح من شبانا المتعلمين معاهدنا الحكومية ممن يتقدمون للخدمة في الأعمال الحرة كأعمال الشركات والشوك إلا واحد من كل ثلاثة عشر مرشحاً بينما يؤخذ الباقي من الشبان الذين تعلموا في معاهد أجنبية . فهلا يحق لكل مفكر أن يتساءل ويبحث عن أسباب كل هذا الإفلاس ! لا شك أن ذلك راجع إلى نقص جوهرى في تربيتنا وتعليمنا . فلقد ذكر حضرته أيضاً أنه حتى هؤلاء القليلين الذين تأخذهم الشركات للعمل فيها تشكو تلك الشركات سوء نظام الكثيرين منهم وقلة إكترامهم بالمسؤولية وقلة اهتمامهم بالوظيفة والمحافظة على المواعيد الخ الخ

فبين معاهدنا إذن عيوب أساسية كثيرة تستدعى التفكير والعمل ، وتستدعى التغيير والتبديل ، وتستدعى وضع سياسة تعليمية قوية يسير الجميع من رجال التعليم على هديها . ولعل من أبرز العيوب وأقوى الشذوذ في نظم تعليمنا قيام المدرسة الابتدائية إلى اليوم بمحور المدرسة الأولية والمدرسة الإلزامية والمعهد الدينى الابتدائى وجمعية تحفيظ القرآن الكريم الخ مما يشتت أبناء البلد الواحد في أنواع مختلفة من المعاهد ذات طرائق مختلفة ومذاهب مختلفة وثقافات مختلفة ! فالمدرسة الابتدائية بما فيها من لغة أجنبية هي ذلك السد المنيع بين المدرسة الإلزامية والأولية من جهة ، وبين المدرسة الثانوية والعالية من جهة أخرى ، مما لا مثيل له في ممالك العالم أجمع ! ونتيجة ذلك أن الطالب المتفوق بين جدران مدارسنا الإلزامية والأولية إذا تمتد سنة العاشرة (وكثير من التفوق لا يظهر إلا بعد هذه السن) استحال عليه إتمام تعليمه تلمياً مدنياً لأن المدرسة الثانوية لا تقبل أحداً من طلابها إلا عن طريق المدرسة الابتدائية حيث اللغة الأجنبية مادة أساسية في جميع سنى الدراسة فيها ، وفي إقفال أبواب المدارس الثانوية أمام طلاب المدارس الأخرى عدا الابتدائية مضية للتفوق والتفوقين من أبنائنا الذين بدؤوا السوء الحظ حياتهم التعليمية في مدارس التلميين الإلزامي والأولى ، وقضاء على ذوى الملكات الطيبة منهم وإهدار الكفايات لو استثمرت لجلبت كثيراً من الخير على مصر والمصريين . فما السر يأتى في وجود هذا السد المنيع الحاجز للتفوقين

استطاع صحفي

مدرسة الهندسة التطبيقية

بمناسبة عيدها المئوي

لمندوب الرسالة

—

« ينتظر أن يشغل حضرة صاحب الجلالة الملك بتصرف
العبد المئوي لمدرسة الهندسة التطبيقية واحتاج مبانها ربما
في ٢٨ أبريل الجاري. وقد أسسها الففورة على يد باشا الكبير
في مارس سنة ١٨٣٩ ومماها مدرسة الصليات لتعد الطلبة
للأعمال الصناعية التي تحتاج إليها البلاد. ولكن الزمن غدر
بها إذ أقفل مبان باشا الأول جميع مساهد العلم وهي منها إلى
أن أعاد فتحها سعيد باشا باسم مدرسة الصليات أيضا. ثم تغير
اسمها فأصبح مدرسة الفنون والصنائع، وتغير مرة ثالثة
فأصبح مدرسة الهندسة التطبيقية »

فهرساء تشكلم

في مواجهة المدخل الرئيسي لمدرسة الهندسة التطبيقية نافورة
جميلة الصنع من حجر الجرانيت الأسود، وفوق الباب تاج أسود
يضم بين ثناياه قطعة مستطيلة من النحاس الأصفر يرى الناظر
في وسطها أنواط يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٧٣، إذ أهديت
إلى المدرسة من بعض الممرضات الدولية. وعلى جانبي الباب مدقمان
ضخمان يبدو عليهما القدم، ويظهر في بناءهما بساطة التركيب،
ولونهما أسود أيضا. فإذا سألت عن تاريخ هذين الأثرين أجابك
محدثك: « رأيتهما عندما التحقت بالمدرسة سنة ١٩٠٤ ». فإذا
حاولت المزيد فلن تصل إلى نتيجة صحيحة. فالمدرسة قديمة العهد
استنشقت النسمة الأولى للحياة في شهر مارس سنة ١٨٣٩ فعمرها
الآن مائة عام وإن كان عمر مبانها بضعة أعوام

تدخلها فإذا هي بنت اليوم. فحجرات الدراسة فيها على أحدث
طراز، ومعاملها ومصانمها مجهزة بأحدث الآلات. ولكنك بين
هذه المظاهر المتعددة تلمس القدم في كثير من حجراتها إذ ترى
آثار الماضي في لوحة قضى الزمن على ذكرياتها، أو تجد صورة
إسماعيل باشا وهي تحمل اسم صانعها وضريبة الزمن على ألوانها.

من طلاب التعليم الإلزامي والأولى عن التعليم الثانوي
والجامعي! هذا السد قد أوجدته السياسة العتيقة من عهد قديم.
حتى لا يقوى على ارتقائه إلا العدد القليل من الذين كانت تقدم
المدرسة الابتدائية للعمل في دواوين الحكومة بدليل ذلك التقرير
الذي رفعه سنة ١٨٨٠ على باشا إبراهيم ناظر المعارف إلى مجلس
النظار (الوزراء) وقد جاء فيه:

« إن التعليم الابتدائي قليل الاتساع لأنه لم ينشر في أية جهة
بين الأهالي ما خلا المحروسة. وهذا لا يسمح للمدرسة التجهيزية
بانتخاب تلامذة نجباء ومستعدين للتعليم التجهيزي ويترتب على ذلك
أنه لا يوجد إلا عدد قليل من التلامذة الضعفاء جداً الخارجين
من الدراسة التجهيزية فتجبر المدارس العالية في أكثر الأحوال
على قبول تلامذة لم يستوفوا الحالة التجهيزية اللازمة، ويستمر هذا
الخلل عند خروج التلامذة بعد انتهاء مدة الدراسة، ودخولهم
في الوظائف العمومية الخ. »

لهذا وجدت قديماً المدرسة الابتدائية إذن على غرار المدرسة
الأوربية ولبس أبنائها الملابس الأوربية، وتعلم أبنائها اللغة
الأوربية، وكانت فرنسية في بادئ الأمر، ثم انقلبت بعد الاحتلال
إلى الإنجليزية واستمرت إلى اليوم! كل ذلك في سبيل إعداد أبنائها
لرغد العيش في وظائف الحكومة بين جدران الدواوين! فلم يكن
إذن القرض من وجودها تثقيف أبناء الشعب أو إعدادهم للحياة
العامة، لأن المدرسة الشعبية أو الكتاب قديماً والمدرسة الإلزامية
أو الأولية حديثاً هي التي تقوم بإعداد أبناء الشعب لحياة الشعب!
وإذن فقد وجدت المدرسة الابتدائية بما فيها من ميزة وهي اللغة
الأجنبية لتفصل طبقة الموظفين وترفعهم إلى مكان خاص بل إلى مراكز
خاصة يمتاز بميزات خاصة عن مراكز أبناء باقي الشعب، فهي إذن
السد النسيج بين أبناء الشعب وغوغائه وبين أبناء سادة الشعب
وحكامه! وهي إذن السد النسيج بين الديمقراطية والارستقراطية!
فهل يصح أن يبقى هذا السد إلى اليرم بعد الوضع الذي أصبحنا
فيه؟ هل يصح أن يبقى هذا السد بين أبناء أمة حطمت قيودها
وقالت بملء فيها إنها أصبحت أمة ديموقراطية ينص دستورهما على
المساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات، وعلى أن الأمة مصدر
السلطات؟ ألا إن بقاء المدرسة الابتدائية بعد هذا بعد مهزلة بين
الديموقراطية والديمقراطيين إن كانوا جادين

فهد الحميد فهد مطر

(ينبع)